حلاوة الإيمان



جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه
أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

حلاوة الإيمان

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الوادي - الجزائر (العاصمة)

|00213 (0) 556 96 58 10

dar.alfurquan@gmail.com

حلاوة الإيمان

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لله الَّذِي غَرَسَ شَجَرَةَ الإِيمَانِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الأَخْيَار، وَسَقَاهَا وَغَذَّاهَا بِالعُلُومِ النَّافِعَة، وَالمَعَارِفِ الصَّادِقَة، وَاللَّهَجِ بِذِكْرِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَار، وَجَعَلَهَا تُؤْتِي أُكُلَهَا وَبَرَكَتَهَا كُلَّ حِينٍ مِنَ النِّعَمِ وَالخَيْرَاتِ الغِزَار.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الوَاحِدُ القَهَّار، الكَرِيمُ الرَّحِيمُ الغَفَّار، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الرَّسُولُ المُصْطَفَى المُخْتَار، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَرَرَةِ الأَخْيار.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مَنْزِلَة الإِيمَان مَنْزِلَةٌ عَالِيَة، وَمَكَانَةٌ غَالِيَة، لَا تَخْفَى عَلَى المُسْلِمِين، وَلَا تُجْهَل عِنْدَ المُؤْمِنِين، فَهُوَ أجلُّ العُلُومِ وَأَنْفَعُهَا، وَأَكْرَمُ المَقَاصِدِ وَأَرْفَعُهَا.

وَمَا أَرْسَلَ الله سُبْحَانَهُ الرُّسُلَ عليهم السلام، وَأَنْزَلَ الكُتُبَ إِلَّا لِبَيَانِه وَتَوْضِيحِه وَتَرْسِيخِه؛ بِهِ سَعَادَةُ العَبْدِ فِي الدُّنْيَا الفَانِيَةَ، وَفِي الآخِرَةِ البَاقِيَة، وَبِهِ يَنَالُ العَبْدُ رِضَا الرَّحْمَن، وَيَنْجُو بِفَضْلِهِ مِنَ النِّيرَان، وَيَظْفَرُ بِالدُّخُولِ إِلَى الجِنَان، ثِمَارُ شَجَرَتِهِ يَانِعَة، وَفَوَائِدُهُ مَاتِعَة.

وَقَدْ وَفَّق الله سُبْحَانَه وَتَعَالَى كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ العِلْم إِلَى الكِتَابَةِ وَالتَّأْلِيف فِي هَذَا المَوْضُوع الكَبِير العَظِيم -وَهُوَ الإِيمْان- بِبَيَانِ أَرْكَانِه وَشُعَبِهِ، نَوَاقِصِه وَنَوَاقِضِه، وَغَيْرِ ذَلِك.

فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِم وَمَا كَتَبُوهُ وَسَطَّرُوه، لَاسِيَمَا شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة وَتِلْمِيذه الإِمَام ابْن القَيِّم، وَالعَلَّامة السّعدي رَحْمَةُ الله عَلَى الجَمِيع.

فَكَانَتْ هَذِهِ الرِّسَالَة المُتَوَاضِعَة الصَّغِيرَة فِي مَوْضُوعٍ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي أَحَادِيث عَدِيدَة مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ الله ﷺ، وَهُوَ حَلَاوَةُ الإِيمَان.

وَلَقَدْ تَرَدَّدتُ كَثِيرًا قَبْلَ كِتَابَتِهَا لِمَا أَعْلَمُ مِنْ قِلَّة زَادِي وَضُعْفِي وَتقْصِيرِي مِنْ جِهَة، وَأَهَمِيَّة المَوْضُوع مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَالله المُسْتَعَان وَعَلَيْهِ التُّكْلَان، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِه.

فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ صَوَابٍ فَمِنَ الله وَحْدَه، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ خطَأ فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَان، وَالله بَرِيءٌ مِنْهُ وَرُسُولُه ﷺ؛ وَبِالله التَّوْفِيق.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr
واتساب:00213555903095

* * * * *

مَدْخَلٌ:

سَأَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَان».

فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وكُتُبِه، ورُسُله، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ»(١).

الإِيمَانُ هُوَ «التَّصْدِيقُ الجَازِم، وَالاعْتِرَافُ التَّام بِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ الإيمَانَ بِهِ، وَالانْقِيَادَ ظاهرًا وَباطِنًا.

فَهُوَ تَصْدِيقُ القَلْبِ وَاعْتِقَادُهُ، المُتَضَمِّنِ لِأَعْمَالِ القُلُوبِ وَأَعْمَالِ البَدَن، وَذَلِكَ شَامِلٌ لِلْقِيَامِ بِالدِّينِ كُلِّهِ.

وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ يَقُولُون: «الإِيمَانُ: قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ».

وَهُوَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، فَهُوَ يَشْملُ: عَقَائِدَ الإِيمَانِ، وَأَخْلَاقَهُ، وَأَعْمَالَهُ.

فَالإِقْرَارُ وَالاعْتِرَافُ بِمَا لله تَعَالَى مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ العُلْيَا، وَالأَفْعَالِ النَّاشِئَةِ عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الإِيمَانِ.

وَكَذَلِكَ الاعْتِرَافُ بِمَا لله مِنَ الحُقُوقِ الخَاصَّةِ - وَهُوَ التَّأَلُّهُ وَالتَّعَبُّدُ لله ظَاهِرًا وَبَاطِنًا - مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨).

وَالاعْتِرَافُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ مَلَائِكَتِهِ، وَجُنُودِهِ، وَالمَوْجُودَاتِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ، وَالإِخْبَارِ بِاليَوْمِ الآخِرِ؛ كُلُّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ.

وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ـ وَمَا وُصِفُوا بِهِ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الأَوْصَافِ الحَمِيدَةِ، كُلُّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ»[١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) «التَّوْضِيحُ وَالبَيَان لِشَجَرَةِ الإِيمَان» (ص٢٧).

حَلاوةُ الإِيمان

أَخِي الحَبِيب اعْلَمْ رَحِمَكَ الله أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَة يَجِدُهَا العَبْدُ المُؤْمِنُ؛ فَمِنْ رَحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ أَنْ جَعَلَ لِعِبَادَاتِهِمْ آثارًا أُخْروِيَّة (حَسَنَات، وَمَحْو السَّيِّئَات، وَرَفْع الدَّرَجَات)، وَآثَارًا دُنْيَوِيَّة (الرَّاحَة وَالأَمَان، وَالسَّكِينَة وَالاطْمِئْنَان..).

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِين ﵀ عَنْ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ: أَنَّهَا «مَا يَجِدُهُ الإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالرَّاحَةِ وَالانْشِرَاحِ، وَلَيْسَتْ مُدْرَكَةً بِاللُّعَابِ وَالفَمِ؛ فَالمَقْصُودُ بِالحَلَاوَةِ هُنَا الحَلَاوَة القَلْبِيَة»[١].

أَخِي فِي الله «الإِيمَانُ هُوَ غِذَاءُ القُلُوبِ وَقُوَّتُهَا كَمَا أَنَّ الطَّعَامَ وَ الشَّرَابَ غِذَاءُ الأَبْدَانِ وَقُوَّتُهَا، وَكَمَا أَنَّ الجَسَدَ لَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا عِنْدَ صِحَّتِهِ فَإِذَا سَقِمَ لَمْ يَجِدْ حَلَاوَةً مَا يَنْفَعُهُ مِنْ ذَلِكَ؛ بَلْ قَدْ يَسْتَحْلِي مَا يَضُرُّهُ وَمَا لَيْسَ فِيهِ حَلَاوَة لِغَلَبَة السَّقَمِ عَلَيْهِ، فَكَذَلِكَ القَلْبُ إِنَّمَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ مِنْ أَسْقَامِهِ وَآفَاتِهِ، فَإِذَا سَلِمَ مِنْ مَرَضِ الأَهْوَاءِ المُضِلَّةِ وَالشَّهَوَاتِ المُحَرَّمَةِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حِينَئِذٍ، وَمَتَى مَرِضَ وَسَقِمَ لَمْ يَجِدْ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ؛ بَلْ يَسْتَحْلِي مَا فِيهِ هَلَاكَهُ مِنَ الأَهْوَاءِ وَالمَعَاصِي .

وَمِنْ هُنَا قَالَ ﷺ :«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِن»، لِأَنَّه لَوْ كَمُلَ إِيمَانُهُ لَوَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ فَاسْتَغْنَى بِهَا عَنْ اسْتِحْلَاءِ المَعَاصِي»[٢].

(١) «القَوْلُ المُفِيد عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيد» (٢/ ٥٤)، «مَدَارِجُ السَّالِكِين» (٣/ ٨٨).

(٢) «فَتْحُ البَارِي» (١/ ٤٥) لِلْإِمَامِ ابْن رَجَب ﵀.

بَيَانُ خِصَالِ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ[١]

أَخِي الحَبِيب لَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ فِي العَدِيدِ مِنْ أَحَادِيثِ المُصْطَفَى ﷺ تَجِدُهَا بِإِذْنِ الله فِي هَذَا المَبْحَث، فَقَدْ جَمَعْتُهَا وَرَتَّبْتُهَا عَسَى الله أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلْعَمَلِ بِهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَالله المُوَفِّق.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[٢].

«أَخْبَرَ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَة فِي القَلْبِ، إِذَا وَجَدَهَا العَبْدُ سَلَّتْهُ عَنْ المَحْبُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّة، وَعَنْ الأَغْرَاضِ النَّفْسِيَّة، وَأَوْجَبَتْ لَهُ الحَيَاةَ الطَّيِّبة، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ الله وَلِرَسُولِهِ؛ لَهِجَ بِذِكْرِ الله طَبْعًا - فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ - وَاجْتَهَدَ فِي مُتَابَعَةِ الرَّسول ﷺ، وَقَدَّمَ مُتَابَعَتَهُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ، وَعَلَى إِرَادَةِ النُّفُوسِ وَأَغْرَاضِهَا.

فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَنَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ، مُسْتَحْلِيَةٌ لِلْطَّاعَاتِ، قَدْ انْشَرَحَ صَدْرُ صَاحِبِهَا لِلْإِسْلَامِ؛ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّه»[٣].

---

(١) مِنْ تَبْوِيبِ الإِمَامِ النَّوَوِي رحمه الله فِي شَرْحِهِ لِصَحِيحِ مُسْلِم (٢/ ١٣).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٦)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٣).

(٣) «التَّوْضِيحُ وَالبَيَان لِشَجَرَةِ الإِيمَان»(ص٣٥).

وَهذَا الحَدِيثُ النَّبوِيُّ ذُكِرَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ فِي بَالِغِ الأَهَمِيَّةِ لِمَنْ يُؤَمِّلُ وَيَبْحَثُ عَنْ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ:

الخَصْلَةُ الأُوْلَى: مَحَبَّةُ الله تَعالَى وَرَسُولِه ﷺ:

أ/ مَحَبَّةُ الله تَعالَى:

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله عَنْ مَحَبَّةِ الله تَعَالَى هِيَ:«المَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ المُتَنَافِسُون، وَإِلَيْهَا شَخَصَ العَامِلُون، وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُون، وَعَلَيْهَا تفَانَى المُحِبُّون، وَبِرَوْحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ العَابِدُون، فَهِيَ قُوتُ القُلُوبِ وَغِذَاءُ الأَرْوَاحِ وَقُرَّةُ العُيُون، وَهِيَ الحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ، وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عُدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الأَسْقَام، وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَام ...»[1].

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥].

فَالمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ لله هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى عِبَادَةِ الله وَحْدَهُ؛ بَلْ وَالمُسَارَعَة فِي إِرْضَاءِ المَحْبُوبِ جل جلاله.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رحمه الله:«فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْقَلْبُ حُبًّا لِلَّهِ ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً، وَكُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ عُبُودِيَّةً ازْدَادَ لَهُ حُبًّا وَحُرِّيَّةً عَمَّا سِوَاهُ»[2].

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِين» (٣/ ٦).

(٢) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (١٠/ ١٩٣).

وَعَلَامَةُ حُبِّ العَبْدِ لِرَبِّهِ ﷻ «تَقْدِيمُ مَحَابِّه وَإِنْ خَالَفَتْ هَوَاه، وَبُغْض مَا يَبْغُض رَبُّهُ وَإِنْ مَالَ إِلَيْهِ هَوَاه، وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَى اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ، وَاتِّبَاعُ رَسُولِه ﷺ وَاقْتِفَاءُ أَثَرِهِ وَقَبُولُ هُدَاه، وَكُلُّ هَذِهِ العَلَامَاتِ شُرُوطٌ فِي المَحَبَّةِ»(١).

وَأَسْبَابُ تَحْصِيلِ المَحَبَّةِ هِيَ كَمَا ذَكَرَهَا شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله بِقَوْلِهِ: «اعْلَمْ أَنَّ مُحَرِّكَاتِ الْقُلُوبِ إِلَى اللهِ ﷻ ثَلَاثَةٌ: الْمَحَبَّةُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَأَقْوَاهَا الْمَحَبَّةُ وَهِيَ مَقْصُودَةٌ تُرَادُ لِذَاتِهَا لِأَنَّهَا تُرَادُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِخِلَافِ الْخَوْفِ فَإِنَّهُ يَزُولُ فِي الْآخِرَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس].

وَالْخَوْفُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الزَّجْرُ وَالْمَنْعُ مِنْ الْخُرُوجِ عَنْ الطَّرِيقِ، فَالْمَحَبَّةُ تَلْقَى الْعَبْدَ فِي السَّيْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَعَلَى قَدْرِ ضَعْفِهَا وَقُوَّتِهَا يَكُونُ سَيْرُهُ إِلَيْهِ، وَالْخَوْفُ يَمْنَعُهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ طَرِيقِ الْمَحْبُوبِ، وَالرَّجَاءُ يَقُودُهُ؛ فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا تَحْصُلُ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ بِدُونِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ، فَإِنْ قِيلَ: فَالْعَبْدُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ قَدْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ مَحَبَّةٌ تَبْعَثُهُ عَلَى طَلَبِ مَحْبُوبِهِ فَأَيُّ شَيْءٍ يُحَرِّكُ الْقُلُوبَ ؟ قُلْنَا يُحَرِّكُهَا شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا كَثْرَةُ الذِّكْرِ لِلْمَحْبُوبِ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِهِ تُعَلِّقُ الْقُلُوبَ بِهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب] الْآيَةَ.

(١) «مَعَارِجُ القَبُول» (٢/ ٤٢٤).

وَالثَّانِي: مُطَالَعَةُ آلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩﴾ [الأعراف]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ تَسْخِيرِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْحَيَوَانِ وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ مِنَ الْإِيمَانِ وَغَيْرِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عِنْدَهُ بَاعِثًا، وَكَذَلِكَ الْخَوْفُ تُحَرِّكُهُ مُطَالَعَةُ آيَاتِ الْوَعِيدِ وَالزَّجْرِ وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِهِ، وَكَذَلِكَ الرَّجَاءُ يُحَرِّكُهُ مُطَالَعَةُ الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ»(١).

مَوْعِظَةٌ:

وَقَدْ صَدَقَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رحمه الله لَمَّا رَاسَلَ أَحَدَ إِخْوَانِهِ فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ:

يَا أَخِي فَقَدْ أَصْبَحَ بِنَا مِنْ نِعَمِ اللهِ عز وجل مَا لَا نُحْصِيهِ مَعَ كَثْرَةِ مَا نَعْصِيهِ، فَمَا نَدْرِي أَيُّهَا نَشْكُر، أَجَمِيلُ مَا ظَهَرَ؟

أَمْ قَبِيحُ مَا سَتَرَ؟»(٢).

ب/مَحَبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

«الْإِنْسَانُ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلَ الإِيمَانِ الوَاجِبِ حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الأَوَامِرِ وَ النَّوَاهِي وَغَيْرِهَا، فَيُحِبُّ مَا أَمَرَ بِهِ وَيَكْرَهُ مَا نَهَى عَنْهُ.

(١) «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (١/ ٩٥).

(٢) «الشُّكْر» (ص٦٦).

وَقَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ بِمِثْلِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب]»[1].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[2].

«المَحَبَّةُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مَحَبَّةُ إِجْلَالٍ وَإِعْظَامٍ كَمَحَبَّةِ الوَالِدِ، وَمَحَبَّةُ شَفَقَةٍ وَرَحْمَةٍ كَمَحَبَّةِ الوَلَدِ، وَمَحَبَّةُ مُشَاكَلَةٍ وَاسْتِحْسَانٍ كَمَحَبَّةِ سَائِرِ النَّاسِ، **فَجَمَعَ ﷺ أَصْنَافَ المَحَبَّةِ فِي مَحَبَّتِه**»[3].

وَأَمَّا الطَرِيقُ إِلَى تَحْصِيلِ مَحَبَّةِ رَسُولِ الله ﷺ فِي قُلُوبِ أَتْبَاعِهِ«فَتَنْشَأُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَمَعْرِفَةِ كَمَالِهِ وَأَوْصَافِهِ وَعِظَمِ مَا جَاءَ بِهِ، وَيَنْشَأُ ذَلِكَ فِي مَعْرِفَةِ مُرْسِلِهِ وَعَظَمَتِه، فَإِنَّ مَحَبَّةَ الله لَا تَتِمُّ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(١) «جَامِعُ العُلُوم وَالحِكَم»(٢/ ٣٩٥).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٥)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٤).

(٣) «شَرْحُ النَّوَوِي عَلَى مُسْلِم» (٢/ ١٥).

﴿٣١﴾ [آل عمران]، وَمَحَبَّةُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى دَرَجَتَيْنِ – أيضًا:

إِحْدَاهُمَا: فَرْضٌ، وَهِيَ مَا اقْتَضَى طَاعَتهُ فِي امْتِثَالِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الوَاجِبَاتِ وَالانْتِهَاءِ عمَّا نَهى عَنْهُ مِنَ المُحَرَّمَات، وَالرِّضَا بِذَلِكَ، وَأَنْ لَا يَجِدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِمَّا جَاءَ بِهِ وَيُسَلِّمَ لَهُ تَسْلِيمًا، وَأَنْ لَا يَتَلَقَّى الهُدَى مِنْ غَيْرِ مِشْكَاتِهِ وَلَا يَطْلُب شَيْئًا مِنَ الخَيْرِ إِلَّا مِمَّا جَاءَ بِهِ .

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَضْلٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْه، وَهِيَ: مَا ارْتَقَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِ سُنَّته وَآدَابِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَالاقْتِدَاءِ بِهِ فِي هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ، وَحُسْنِ مُعَاشَرَتِهِ لِأَهْلِهِ وَإِخْوَانِه، وَفِي التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ الظَّاهِرَةِ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِي الآخِرَةِ وَفِي جُودِهِ وَإِيثَارِهِ وَصَفْحِهِ وَحِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ وَتَوَاضُعِهِ، وَفِي أَخْلَاقِهِ البَاطِنَةِ مِنْ كَمَالِ خَشْيَتِهِ لله وَمَحَبَّتِهِ لَهُ وَشَوْقِهِ إِلَى لِقَائِهِ وَرِضَاه بِقَضَائِهِ وَتَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ دَائِمًا وَصِدْقِ الالْتِجَاءِ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلِ وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَقَطعِ تَعَلُّقِ القَلْبِ بِالأَسْبَابِ كُلِّهَا، وَدَوَامِ لَهجِ القَلْبِ وَاللِّسَانِ بِذِكْرِهِ وِالأُنْسِ بِهِ وِالتِنعُّم بِالخُلْوَةِ بِمُنَاجَاتِهِ وَدُعَائِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ.

وَفِي الجُمْلَةِ: فَكَانَ خُلُقُه ﷺ القُرْآن، يَرْضَى لِرِضَاه وَيَسْخطُ لِسَخَطِهِ، فَأَكْمَلُ الخَلْقِ مَنْ حَقَّقَ مُتَابَعَتَهُ وَتَصْدِيقَهُ قَوْلًا وَعَمَلًا وَحَالًا...»[(١)].

(١) «فَتْحُ البَارِي» (١/ ٤٨) لِلإِمَامِ ابْنِ رَجَب رحمه الله.

البَوَاعِثُ عَلَى مَحَبَّتِهِ ﷺ:

١/ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةٌ لِمَحَبَّةِ الله:

«وَكُلُّ مَحَبَّةٍ وَتَعْظِيمٍ لِلْبَشَرِ فَإِنَّمَا تَجُوزُ تَبَعًا لِمَحَبَّةِ الله وَتَعْظِيمِهِ كَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ وَتَعْظِيمِهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ مُرْسِلِهِ وَتَعْظِيمِهِ فَإِنَّ أُمَّتَهُ يُحِبُّونَهُ لِحُبِّ الله لَهُ، وَيُعَظِّمُونَهُ وَيُجِلُّونَهُ لِإِجْلَالِ الله لَهُ فَهِيَ مَحَبَّةٌ لله ..»[1].

وَتَتَّضِحُ مَحَبَّةُ الله لَهُ وَإِجْلَالُهُ وَتَعْظِيمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ جَعَلَهُ مِنَ المُرْسَلِين، وَاصْطَفَاهُ مِنَ الخَلَائِقِ أَجْمَعِين، وَارْتَضَاهُ لِمَقَامِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحَجّ]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام] .

٢/كَمَالُ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِه بِأُمَّتِه ﷺ:

فَهُوَ ﷺ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ كَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ المَوْلَى الكَرِيم فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة] .

وَمَظَاهِرُ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِأُمَّتِهِ ﷺ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَهُوَ الَّذِي بَيَّنَ وَجَاهَدَ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ؛ لِيُوصِلَ الخَيْرَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ المَرْحُومَةِ، فَحَرِيٌّ بِالمُؤْمِنِ أَنْ يُحِبَّهُ وَيُعَظِّمَهُ وَيُعَزِّرَهُ.

(١) «جَلَاءُ الأَفْهَام» (ص١٨٧).

٣/ كَمَالُ نُصْحِهِ وَإِحْسَانِهِ لِأُمَّتِهِ ﷺ:

الإِنْسَانُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَسْدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا..وَإِحْسَانُهُ ﷺ إِلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنْ بَلَّغَهَا رِسَالَةَ رَبِّهَا حَقَّ البَلَاغِ، وَبَيَّنَ لَهَا سَعَادَتَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَخْرَجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، يَقُولُ الله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

لِذَا كَانَ صَحَابَتُهُ أَعْظَمَ النَّاسِ حُبًّا لَهُ، لِمَا عَرَفُوا مِنْ كَمَالِ نُصْحِهِ لَهُمْ، وَأَنَّهُ السَّبَبُ فِي إِخْرَاجِهِمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ.

٤/ كَمَالُ أَخْلَاقِهِ الشَّرِيفَةِ وَصِفَاتِهِ الحَمِيدَةِ:

فَقَدْ كَانَ مَحْبُوبًا إِلَى النَّاسِ قَبْلَ بِعْثَتِهِ، لِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الأَخْلَاقِ العَالِيَةِ، وَازْدَادَ حُبُّ النَّاسِ لَهُ بَعْدَ البِعْثَةِ لِمَا عَرَفُوا مِنْ صِدْقِ الحَدِيثِ وَالأَمْرِ بِالخَيْرِ، فَكَسَبَ قُلُوبَ النَّاسِ بِمَا كَانَ يَتَّصِفُ بِهِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ وَالتَّعَامُلِ الحَسَنِ مَعَ أَصْحَابِهِ، بَلْ وَمَعَ مَنْ عَادَاهُ وَأَظْهَرَ بُغْضَهُ، فَدَانَتْ لَهُ الأُمَمُ وَعُرِفَ لَدَى سَائِرِ المِلَلِ وَالنِّحَلِ بِأَنَّ خُلُقَهُ عَظِيم، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ)[1].

مَوْقِفٌ مُؤَثِّرٌ جِدًّا:

إِنَّ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى أَيِّ مُسْلِمٍ رَأْفَةَ وَرَحْمَةَ وَشَفَقَةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِأُمَّتِهِ؛ بَلْ وَصَفَهُ رَبُّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ بِقَوْلِه سُبْحَانَه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

---

(١) «مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ» (ص ١٥)؛ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ.

أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ].

وَمِنْ أَفْضَلِ الأَمْثِلَةِ الَّتِي وَقَفْتُ عَلَيْهَا تَأْصِيلًا لِهَذَا المَعْنَى مَا وَرَدَ فِي «صَحِيح مُسْلِم»(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عز وجل فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ [سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ] الآيَةَ.

وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ].

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى.

فَقَالَ اللهُ عز وجل: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ.

فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ».

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِي رحمه الله فِي شَرْحِهِ لِهَذَا الحَدِيثِ:

«هَذَا الحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الفَوَائِدِ:

مِنْهَا: بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَاعْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِهِمْ وَاهْتِمَامِهِ بِأَمْرِهِمْ.

(١) بِرَقْم (٢٠٢).

وَمِنْهَا: اسْتِحْبَابُ رَفْعِ اليَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ.

وَمِنْهَا: البِشَارَةُ العَظِيمَةُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ زَادَها الله تَعَالَى شَرَفًا بِمَا وَعَدَهَا الله تَعَالَى بِقَوْلِهِ «سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ» وَهَذَا مِنْ أَرْجَى الأَحَادِيثِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَوْ أَرْجَاهَا.

وَمِنْهَا: بَيَانُ عِظَمِ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ الله تَعَالى وَعَظِيمِ لُطْفِهِ سُبْحَانَهُ بِهِ ﷺ، وَالحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ جِبْرِيل لِسُؤَالِهِ ﷺ إِظْهَارُ شَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى فَيُسْتَرْضَى وَيُكَرَمُ بِمَا يُرْضِيه؛ وَالله أَعْلَمُ»[١].

الخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: الحُبُّ فِي الله:

«أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ بَلْ هُوَ رَأْسُ الإِيمَان، وَهُوَ أَنْ تُحِبَّ فِي الله وَتُبْغِض فِيهِ، تُحِبُّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَعِبَادَهُ الصَّالِحِين، وَتُبْغِضُ أَعْدَاءَهُ وَأَعْدَاءَ رُسُلِهِ أَجْمَعِين»[٢].

وَلَقَدْ جَاءَتْ الشَّرِيعَةُ الغَرَّاءُ فَحَثَّتْ عَلَى الحُبِّ فِي الله وَالأُخُوَّةِ فِي الدِّين، وَجَمْعِ الكَلِمَةِ وَلَمِّ الشَّمْلِ، وَحَثَّتْ عَلَى التَآلُفِ وَالوِفَاق، وَفِي المُقَابِلِ حَذَّرَتْ مِنَ التَّهاجُرِ وَالشِّقَاق، وَالتَّنَافُر وَالتَّنَاحُر، وَكُلِّ مَا يَنْخَرُ فِي عُودِ الأُمَّةِ أَوْ يَثْلُمُ فِي صَرْحِهَا، أَوْ يُسْهِمُ فِي شَقِّ عَصَا المُسْلِمِين.

أَحْبَابِي فِي الله لَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٍ فِي بَيَانِ مَنْزِلَةِ الحُبِّ فِي الله مِنْهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ

(١) «شَرْحُ النَّوَوِي عَلَى صَحِيح مُسْلِم» (٣/ ٧٩).

(٢) «مُعْجَمُ التَّوْحِيد» (٢/ ٥٥).

الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟

قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ»؟

قَالَ: حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ»(٢).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عز وجل الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»(٣).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رحمه الله: «رَأْسُ الإيمان الحُبُّ فِي الله، وَالبُغْض فِي الله، وَكَانَ مَنْ أَحَبَّ لله، وَأَبْغَضَ لله، وَأَعْطَى لله، وَمَنَعَ لله، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَان.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٦٦).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٣٩).

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٣٩٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامع» (٤٣١٢).

فَالمَحَبَّةُ وَالإِرَادَةُ أَصْلٌ فِي وُجُودِ البُغْضِ وَالكَرَاهَةِ، وَالأَصْلُ فِي زَوَالِ البَغِيضِ المَكْرُوهِ فَلَا يُوجَدُ البُغْضُ إِلَّا لِمَحَبَّة، وَلَا يَزُولُ البَغِيضُ إِلَّا لِمَحَبَّة»(١).

تَفْصِيلٌ:

«فَمَحَبَّة رُسُلِ الله وَأَنْبِيَائِه وَعِبَادِه الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَحَبَّة الله، وَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّة لَا يَسْتَحِقُّهَا غيره، فَغَيْرُ الله يُحَبُّ في الله، لَا مَعَ الله، فَإِنَّ الْمُحِبَّ يُحِبُّ، مَحْبُوبُه، وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُ، وَيُوَالِي مَنْ يُوَالِيه، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِيه، وَيَرْضَى لِرِضَائِه، وَيَغْضَبُ لِغَضَبِه، وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ به، وَيَنْهَى عَمَّا يَنْهَى عنه، فَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَحْبُوبِه في كُلِّ حَالٍ.

والله تعالى يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، وَيُحِبُّ التَّوَّابِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَنَحْنُ نُحِبُّ مَنْ يحَبَّه الله، والله لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ، وَلَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، وَلَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَنَحْنُ لَا نُحِبُّهُمْ أَيْضًا، وَنُبْغِضُهُمْ، مُوَافَقَة له سبحانه وتعالى... فَالْمَحَبَّة التَّامَّة مُسْتَلْزِمَة لِمُوَافَقَة الْمَحْبُوبِ في مَحْبُوبِه وَمَكْرُوهِه، وَوِلَايَتِه وَعَدَاوَتِه»(٢).

نَمَاذِجُ مِنَّ الحُبِّ فِي الله:

لَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَعْظَمَ جِيل وَأَفْضَلَ رَعِيل، تَخرَّجُوا مِنْ مَدْرَسَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ.

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا سُطِّرَ مِنْ مَوَاقِفٍ عَلَى جَبِينِ التَّارِيخِ قِصَّةُ المُؤَاخَاة بَيْنَ

(١) «جَامِعُ الرَّسَائِل» (٢/ ١٩٥).

(٢) «شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة» (ص٢٥٤).

المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصار رضي الله عنهم؛ وَمِنْهَا مُؤَاخَاةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيع رضي الله عنه مَعَ عَبْدِ الرَّحمَن بْنِ عَوْف رضي الله عنه.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا .

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟

قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعَ»[1].

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُمْ اللهُ يَقُولُون: «لَئِنْ يُرَى ثَوْبُكَ عَلَى صَاحِبِكَ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يُرَى عَلَيْكَ، وَلَئِنْ تُرَى دَابَّتُكَ تَحْتَ صَاحِبِكَ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تُرَى تَحْتَكَ»[2].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ الجَوْزِي رحمه الله: «كَانَ الأَخُ فِي اللهِ يَخْلُفُ أَخَاهُ فِي أَهْلِهِ إِذَا مَاتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ شَيْنَ أَخِيهِ طَلَبَ حَاجَتَهُ مِنْ غَيْرِهِ.

خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمْ رحمه الله فِي سَفرٍ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ نَفرٍ، فَدَخَلُوا مَسْجِدًا فِي بَعْضِ المَفَاوِزِ وَالبَرْدُ شَدِيدٌ وَلَيْسَ لِلْمَسْجِدِ بَابٌ؛ فَلَمَّا نَامُوا قَامَ إِبْرَاهِيمُ فَوَقَفَ عَلَى البَابِ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٠٤٨).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قَضَاء الحَوائِج» (٢١)، وَفِي «اصْطِنَاع المَعْرُوف» (٧٥).

إِلَى الصَّبَاحِ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ تَنَمْ؟

فَقَالَ خَشِيتُ أَنْ يُصِيبَكُمْ البَرْدُ فَقُمْتُ مَقَامَ البَابِ.

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى بَيْتِ صَدِيقٍ لَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟

قَالَ: عَلَيَّ أَرْبَعمِائَة دِرْهَمٍ، فَدَخَلَ الدَّارَ فَوزَنَهَا ثُمَّ خَرَجَ فَأَعْطَاهُ ثُمَّ عَادَ إِلَى الدَّارِ بَاكِيًا، فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ: هَلَا تَعَلَّلْتَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ إِعْطَاؤُهُ يَشُقُّ عَلَيْكَ؟!

فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي لَمْ أَفْتَقِدْ حَالَهُ فَاحْتَاجَ أَنْ يَقُولَ لِي ذَلِك»[١].

وَرَحِمَ الله الإِمَامَ ابْنَ رَجَب لَمَّا قَالَ: «سَلَامُ الله عَلَى تِلْكَ الأَرْوَاح، رَحْمَةُ الله عَلَى تِلْكَ الأَشْبَاح؛ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَخْبَار وَآثَار، كَمْ بَيْنَ مَنْ يَمْنَع الحَقَّ الوَاجِبَ عَلَيْه وَبَيْنَ أَهْلِ الإِيثَار؟!»[٢].

الخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: كَرَاهَةُ الرُّجُوعِ إِلَى الكُفْر:

أَخِي فِي الله إِذَا خَالَطَ الإِيمَانُ شَغَافَ القَلْبِ فَلَا سَبِيلَ لِزَعْزَعَتِهِ وَلَوْ هَبَّتْ رِيَاحُ فِتَنِ الشَّهَوَات؛ بَلْ وَأَعَاصِيرُ الشُّبُهَات؛ بَلْ شِعَارُهُ: الثَّبَات الثَّبَات.

«مَنْ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ وَخَالَطَ قَلْبَهُ عَلِمَ أَنَّ الكَافِرَ فِي النَّارِ، فَكَرِهَ الكُفْرَ لِكَرَاهِيَّتِهِ لِدُخُولِ النَّارِ»[٣].

---

(١) «التَّبْصِرَة» (ص٦٣٤).

(٢) «لَطَائِف المَعَارِف» (ص١٨٣).

(٣) «شَرْح صَحِيح البُخَارِي» لِابْنِ بَطَّال رحمه الله (١/ ٦٨).

إِنَّ نِعْمَةَ الإِسْـلَامِ وَالإِيمَانِ هِيَ أَعْظَمُ النِّعَمِ عَلَى الإِطْلَاق، وَأَفْضَلَ المِنَن بِالاتِّفَاق، وَمَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الإِيمَان وَمَا وَجَدَهُ مِنْ رَاحَةٍ وَاطْمِئْنَان وَسَكِينَةٍ وَأَمَان ثُمَّ جَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الدُّنْيَا بِمَلَذَّاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا عَلَى أَنْ يَتْرُكَ الإِسْلَامَ إِلَى الكُفْرِ لَمَا تَرَكَ إِسْلَامَهُ وَإِيمَانَهُ، وَصَدَقَ الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

فَالمُؤْمِنُ يَسْتَشْعِرُ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَيَعِيشُ بِتَعَالِيمِ الإِسْلَامِ مُنْقَادًا لِأَحْكَامِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي فِيهَا كُلُّ الخَيْرِ وَالفَضْلِ وَالبَرَكَة، لِذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلَامِ رَاقِدًا»[1].

وَبِالمِثَال يَتَّضِح المَقَال:

فَهَذَا «بِلَالُ بْنُ رَبَاح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ عُذِّبَ فِي الله أَشَدَّ العَذَاب، فَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله، وَكَانَ كُلَّمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَذَابُ يَقُول: «أَحَدٌ أَحَدٌ»»[2].

لِمَاذَا؟

لِأَنَّهُ ذَاقَ حَلَاوَةَ الإِيمَان، فَهِيَ تُنْسِي مَرَارَةَ العَذَاب، وَشِدَّةَ العِقَاب؛ لِأَنَّهَا فِي مَرْضَاتِ رَبِّ الأَرْبَاب جَلَّ جَلَالُهُ.

(١) رَوَاهُ الحَاكِم (١٩٢٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (١٥٤٠).

(٢) «زَادُ المَعَاد» (٣/ ١١).

وَكَـذَا مَنْ ذَاقَ حَـلَاوَةَ الاسْتِقَامَةِ عَلَى الدِّين فَإِنَّهُ يَكْرَهُ لِأَنْ يَعُودَ إِلَى حَيَاةِ الانْتِكَاسَة.. إِلَى مُسْتَنْقَعِ الآثَام.. وَبَرَاثِنِ اللِّئَام.

قِصَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ:

«وَجَّهَ عُمَرُ جَيْشًا إِلَى الرُّوم، فَأَسَرُوا عَبْدَ الله بْنَ حُذَافَة، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ.

فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ وَأُعْطِيَكَ نِصْفَ مُلْكِي؟

قَالَ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِك، وَجَمِيعَ مُلْكِ العَرَب، مَا رَجَعْتُ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ طَرْفَةِ عَيْن.

قَالَ: إِذًا أَقْتُلُك.

قَالَ: أَنْتَ وَذَاك.

فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلْرُّمَاةِ: ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ بَدَنِهِ، وَهُوَ يُعْرِضُ عَلَيْهِ، وَيَأْبَى، فَأَنْزَلَهُ.

وَدَعَا بِقِدْرٍ، فَصَبَّ فِيهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ، وَدَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا، فَأُلْقِيَ فِيهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى، ثُمَّ بَكَى.

فَقِيلَ لِلْمَلِك: إِنَّهُ بَكَى.

فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ جَزِعَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ، مَا أَبْكَاكَ؟

قَالَ: قُلْتُ: هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى السَّاعَةَ فَتَذْهَب، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ

شَعْرِي أَنْفُس تُلْقَى فِي النَّارِ فِي الله.

فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي وَأُخلِّي عَنْكَ؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الله: وَعَنْ جَمِيعِ الأُسَارَى ؟

قَالَ: نَعَم.

فَقبَّلَ رَأْسَهُ.

وَقَدِمَ بِالأُسَارَى عَلَى عُمَر، فَأَخبَرَهُ خَبَرَهُ.

فَقَالَ عُمَر: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ ابْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ.

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ»[١].

الخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ: مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِه

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَجِدُ عَبْدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَان حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**»[٢].

إِنَّ الإِيمَانَ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَان، وَهُوَ[٣] يُولَّدُ فِي نَفْسِ

(١) «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (٢/ ١٥).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِم فِي «السُّنَّة» (٢٤٧)، وَالضِّيَاء فِي «الأَحَادِيث المُخْتَارَة» (٢١٩٧)، وَقَالَ الأَلْبَانِي: (إِسْنَادُهُ حَسَن) فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٥/ ٤٣٨).

(٣) وَ الإِيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ يَتَضَمَّنُ الإِيمَانَ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ:
١ - الإِيمَانُ بِأَنَّ الله تَعَالَى عَلِمَ أَحْوَالَ عِبَادِهِ، وَأَرْزَاقَهُم، وَآجَالَهُمْ، وَأَعْمَالَهُمْ، وَمَا كَانَ وَيَكُون، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٦٢﴾ [العَنكبُوت].

صَاحِبِهِ الطُّمَأْنِينَةَ وَالرِّضَا، ويُبْعِد عَنْهَا القَلَقَ وَالاكْتِئَاب وَسَائِرَ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّة؛ لِأَنَّ مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَبِهَذِهِ القَنَاعَةِ تُوَلِّدُ عِنْدَ المُؤْمِنِ طُمَأْنِينَة وَراحة، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ بِأَنَّ الَّذِي ابْتَلَاهُ أَوْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، هُوَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ وَالِدَيْهِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، فَمَا قَدَّرَهُ الخَالِقُ هُوَ خَيْرٌ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ التَّعَب وَالنَّصَب وَالأَلَم، وَهُوَ مَا عبَّر عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ بِقَوْلِهِ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[١].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطَّلَاق].

٢ - كِتَابَتُهُ ﷻ لِكُلِّ المَقَادِير، قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَىۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِىٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج].

وَفِي «صَحِيح مُسْلِم»: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» برقم (٢٦٥٣).

٣ - الإِيمَانُ بِمَشِيئَةِ الله النَّافِذَة، فَمَا شَاءَ كَان وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التَّكۡوِير].

وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس].

٤ - الإِيمَانُ بِأَنَّ الله هُوَ الخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ لَهُ، قَالَ - عز وجل -: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزُّمَر] » «عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة» (ص١٣٩).

وَهَذِهِ المَرَاتِب نَظَمَهَا بَعْضُهُمْ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ:

عِلْمٌ كِتَابَةُ مَوْلَانَا مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ وَهُوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينُ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٥٠٠).

فَالرَّاحَةُ وَالهُدُوءُ النَّفْسِي دَأْبُ المُؤْمِنِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَفِي الحِلِّ وَالتَّرْحَالِ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لِأَنَّ هَذِهِ النَّفْس قَدْ ارْتَبَطَتْ بِوَشَائِجَ قَوِيَّةٍ وَحِبَالٍ مَتِينَةٍ مَعَ الله تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا، فَإِذَا ارْتَقَى العَبْدُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ اليَقِينِ، أَزَالَ الله عَنْهُ الكُرُبَاتِ النَّفْسِيَّة وَجَمِيعَ الاضْطِرَابَاتِ وَالانْفِعَالَاتِ وَالتَّشَجُّنَاتِ، وَأَبْدَلَهَا بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِه جَلَّ وَعلا؛ بَلْ إِنَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، يُحَوِّلُ نَفْسَ هَذَا المُؤْمِنِ إِلَى رَوْضَةٍ إِيمَانِيَّةٍ تَتجَمَّعُ فِيهَا أَلْوَانُ الرَّيَاحِينِ وَالزُّهُورِ، وَتَنْفُثُ عَنْهَا خُبْثَ الشَّيَاطِينِ مِنَ القَلَقِ وَ الكَآبَةِ وَاليَأْسِ[١].

قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِح العُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ يُعَدِّدُ فَوَائِدَ الإِيمَانِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ :

«أَنَّ الإِنْسَانَ يَبْقَى مُطْمَئِنًّا لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ هَذَا مِنَ الله رَضِيَ وَاطْمَأَنَّ وَعَرِفَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَقَدْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُغَيِّرَ الشَّيْءَ عَمَّا وَقَعَ أَبَدًا، فَلَا تُحَاوِل، وَلَا تُفَكِّر، وَلَا تُقل: (لَوْ)، فَالَّذِي وَقَعَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ أَوْ يَتَحَوَّلَ.

إِنَّ الإِيمَانَ بِالقَدَرِ عَلَى وَجْهِ الحَقِيقَةِ يَكْشِفُ لِلْإِنْسَانِ حِكْمَةَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا يُقَدِّرُه مِنْ خَيرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيَعْرِفُ بِهِ أَنَّ وَرَاءَ تَفْكِيرِهِ وَتَخَيُّلَاتِهِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ وَأَعْلَمُ، وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا نَفْعَلُ الشَّيْءَ أَوْ كَثِيرًا مَا يَقَعُ الشَّيْءُ فَنكْرَهَهُ وَهُوَ خَيْرٌ لَنَا.

فَأَحْيَانًا يُشَاهِدُ الإِنْسَانُ رَأْيَ العَيْنِ أَنَّ الله يُعَسِّرُ عَلَيْهِ أَمْرًا يُرِيدُهُ، فَإِذَا حَصَلَ مَا

(١) «حَيَاةُ السُّعَدَاء» (ص٢٤٠).

حَصَل وَجَدَ أَنَّ الخَيْرَ فِي عَدَمْ حُدُوثِ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

وَمَا أَكْثَرَ مَا نَسْمَعُ أَنَّ فُلَانًا قَدْ حجزَ فِي الطَّائِرَةِ الفُلَانِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ سَيُسَافِرُ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَجِدُ أَنَّ الطَّائِرَةَ قَدْ أَقْلَعَتْ، وَفَاتَهُ السَّفَرُ، فَإِذَا بِالطَّائِرَةِ يَحْصُلُ عَلَيْهَا حَادِثٌ.

فَهُوَ عِنْدَمَا حضَرَ أَوَّلًا لِيَرْكَبَ فِيهَا وَوَجَدَ أَنَّهَا أَقْلَعَتْ يَحْزَنُ، لَكِنْ عِنْدَمَا يَقَعُ الحَادِثُ يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا خَيْرٌ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البَقَرَة]»[1].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحَدِيد].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَتَى ظَفَرَ العَبْدُ بِهَذِهِ المَعْرِفَةِ سَكَنَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ فِي جَنَّةٍ لَا يُشْبِهُ فِيهَا إِلَّا نَعِيمُ الآخِرَة؛ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ رَاضِيًا عَنْ رَبِّهِ، وَالرِّضَا جَنَّةُ الدُّنْيَا وَمُسْتَرَاحُ العَارِفِينَ؛ فَإِنَّهُ طَيِّبُ النَّفْسِ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ المَقَادِيرِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ اخْتِيَارِ اللهِ لَه، وَطُمَأْنِينَتُهَا إِلَى أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّة، وَهَذَا هُوَ الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا؛ وَمَا ذَاقَ طَعْمُ الإِيمَانِ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِك»[2].

وأُذَكِّرُكَ أَخِي الكَرِيم بِهَذَا الحَدِيثِ العَظِيم: فَتَأَمَّل وَتَدَبَّر وَتَفَكَّر...

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ**

(١) «مَجْمُوعُ فَتَاوِيه» (٣/ ٢١٥).

(٢) «الفَوَائِد» (ص٩٣).

كَلماتٍ: احفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احفَظِ الله تَجِدْهُ تجاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا استعنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١) .

وَفِي رِوَايَة: «احْفَظ الله تَجِدْهُ أَمَامَك ، تعرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْك فِي الشِّدَّةِ، واعلَمْ أنَّ ما أخطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسراً» .

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَب رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ لَطَائِفِ أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الفَرَجِ بِالكَرْبِ وَاليُسْرِ بِالعُسْرِ: أَنَّ الكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى، وَحَصَلَ لِلْعَبْدِ الإِيَاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ المَخْلُوقِين، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالله وَحْدَه، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى الله، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الَّتِي تُطْلَبُ بِهَا الحَوَائِجُ ، فَإِنَّ الله يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق]»(٢).

فَكُلُّ هَذِهِ النُّقُول لِنُؤَصِّلَ لِأَمْرٍ بَالِغ الأَهَمِّيَّة وَهُوَ أَنَّهُ بِحَلَاوَةِ الإِيمَان تُخَفَّفُ المَصَائِبُ وَالمَتَاعِبُ؛ فَحَلَاوَتُهُ تُنْسِي وَتُذْهِبُ مَرَارَةَ الابْتِلَاءَات.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّهُ لَنْ يَجِدَ عَبْدٌ أَوْ يَذُوقَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَسْتَيْقِنَ يَقِيناً غَيْرَ

(١) رَوَاهُ التِّرمِذِي (٢٥١٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامع» (٧٩٥٧).

(٢) «جَامِعُ العُلُوم وَالحِكَم» (١٩٧).

ظَانٍّ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(١).

الخَصْلَةُ الخَامِسَةُ: طَاعَةُ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ حَقِّهِ عَلَيْهَا، وَلَا تَجِدُ امْرَأَةٌ حَلَاوَةَ الإِيمَان حَتَّى تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَب**»(٢).

لَابُدَّ لِلْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ التَّقِيَّةِ النَّقِيَّةِ أَنْ تَسْتَحْضِرَ أَمْرًا مُهِمًّا وَهُوَ أَنَّ طَاعَةَ زَوْجِهَا فِي الْمَعْرُوفِ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهَا، لِذَا فَهُوَ يُورِثُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ كَبَاقِي العِبَادَات.

وَقَدْ مَثَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الحَدِيثِ فَقَالَ: «وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَب».

أَيْ: «(وَلَوْ سَأَلَهَا) أَيْ الزَّوْج (نَفْسهَا) أَيْ الْجِمَاع (عَلَى قَتَب) لِلْجَمَلِ كَالْإِكَافِ لِغَيْرِهِ، وَمَعْنَاهُ الْحَثّ عَلَى مُطَاوَعَة أَزْوَاجهنَّ وَأَنَّهُنَّ لَا يَنْبَغِي لَهُنَّ الِامْتِنَاع فِي هَذِهِ الْحَالَة فَكَيْف فِي غَيْرهَا»(٣).

أَنْ تَسْتَحْضِرَ المَرْأَةُ التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ أَنَّ طَاعَتَهَا لِزَوْجِهَا سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ جَنَّةِ رَبِّهَا بِإِذْنِ الله:

(١) رَوَاهُ ابْنُ بَطَّة فِي «الإِبَانَة الكُبْرَى» (١٤٥٨).

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي «المُعْجَم الكَبِير» (٩٠)، وَقَالَ الأَلْبَانِي: (حَسَنٌ صَحِيح) فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (١٩٣٩).

(٣) «حَاشِيَةُ السِّنْدِي عَلَى سُنَنِ ابْنِ مَاجَه» (٤/ ١١٠).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ**»(١).

وَعَنِ الْحُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟**».

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟».

قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

قَالَ «فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»(٢).

إِخْوَانِي فِي اللهِ بِمِثْلِ هَذِهِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ نُعَالِجُ بِهَا العَدِيدَ مِنَ المَشَاكِلِ العَائِلِيَّةِ الَّتِي صِرنَا نَسْمَعُ بِهَا هُنَا وَهُنَاك؛ فَإِنَّ المُتَأَمِّلَ فِي حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّة يَرَى أَنَّ العَدِيدَ مِنَ الأُسَر رَغْمَ تَوَفُّرِ المُسْتَلْزَمَاتِ وَالمَادِّيَات إِلَّا أَنَّ أَعَاصِيرَ الطَّلَاق وَالفِرَاق قَدْ تَهُبُّ وَتَعْصِفُ بَيْنَ الفَيْنَةِ وَالأُخْرَى، وَفِي المُقَابِلِ أُسَرٌ فَقِيرَةٌ بِاسْتِقَامَتِهَا قَدْ لَا تَتَوَفَّرُ أَكْوَاخُهَا عَلَى أَبْسَطِ مُتَطَلَّبَاتِ الحَيَاة.. تُرَفْرِفُ السَّعَادَةُ بِجَنَاحَيْهَا عَلَى أَكْوَاخِهِمْ.

لِـمَـاذَا؟

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَد فِي «مُسْنَدِه» (١٦٦١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٦٦٠).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَد فِي «مُسْنَدِه» (١٩٠٠٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (١٩٣٣).

إِنَّهُ نُورُ الإِيمَان لَمَّا يَدْخُلُ البُيُوت يُبَدِّد ظُلُمَاتِ الأَزَمَات فِيهَا.

وَلِهَذَا أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي العَدِيدِ مِنَ الأَحَادِيثِ إِلَى أَهَمِّيَّةِ اسْتِقَامَةِ الزَّوْجَيْنِ.

فأمَّا عَنْ الزَّوج: قَالَ ﷺ: «**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(١).

وأمَّا عَنْ الزَّوْجَة: قَالَ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(٢).

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ البَشِير الإِبْرَاهِيمِيّ رَحِمَهُ اللهُ: «فِي الزَّوَاجِ حُسْنُ الأَخْلَاق، لَا وَفْرَة الصَّدَاق، وَفِي الزَّوْجَةِ الدِّين المَتِين، لَا الجِهَاز الثَّمِين»(٣).

فَإِذَا عَاشَتْ الأُسْرَةُ المُسْلِمَةُ بِالإِيمَان حَلَّ بِهَا الأَمَانُ وَالاطْمِئْنَان، وَمَتَى فَقَدَتْهُ تَصَرَّمَتْ الرَّوَابِطُ الأُسَرِيَّة وَحَلَّتْ الخِلَافَات العَائِلِيَّة..

الخَصْلَةُ السَّادِسَةُ وَالسَّابِعَةُ وَالثَّامِنَة: عِبَادَةُ الله وَحْدَه، وَإِخْرَاجُ الزَّكَاة، وَاجْتِنَابُ الرَّدِيئَة.

إِنَّ مَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ فَإِنَّهُ يَجِدُ مِنَ الغِبْطَة وَالسُّرُور، وَالفَرَحِ وَالحُبُور مَا الله بِهِ عَلِيم.

فَالوَاجِبُ عَلَى العَبْدِ إِفْرَادُ الله تَعَالَى بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، فَلَا يُعْبَدُ مَعَ الله أَحَد،

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِي (١٠٨٤)، وَابْنُ مَاجه (١٩٦٧)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «إِرْوَاء الغَلِيل» (١٨٦٨).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٠٩٠)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٦٦).

(٣) «آثَارُهُ» (٣/ ٣٧٢).

وَلَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله أَحَد، فَلَا إِلَهَ إِلَّا الله: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا الله، وَكُلُّ مَا عُبِدَ مَعَ الله أَوْ مِنْ دُونِ الله فَقَدْ عُبِدَ بِالبَاطِل..

إِنَّ العِبَادَة هِيَ أَسَاسُ السَّعَادَة...كَانَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّة رحمه الله يَقُولُ: «مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الأَبَدِيَّة فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ العُبُودِيَّة»(١).

فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ الإِيمَانُ مَعَ العَمَلِ الصَّالِحِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

«فَأَخْبَرَ تَعَالَى وَوَعَدَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، بِالحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي هَذِهِ الدَّار، وَبِالجَزَاءِ الحَسَنِ فِي هَذِهِ الدَار وَفِي دَارِ القَرَار.

وَسَبَبُ ذَلِكَ وَاضِحٌ، فَإِنَّ المُؤْمِنِينَ بِالله الإِيمَانَ الصَّحِيح، المُثْمِر لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ المُصْلِحِ لِلْقُلُوبِ وَالأَخْلَاقِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَة، مَعَهُمْ أُصُول وَأُسُس يَتَلَقَّوْنَ فِيهَا جَمِيعَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْبَابِ السُّرُورِ وَالابْتِهَاج، وَأَسْبَابَ القَلَقِ وَالهَمِّ وَالأَحْزَانِ.

يَتَلَقَّوْنَ المَحَابَّ وَالمَسَارَّ بِقَبُولٍ لَهَا، وَشُكْرٍ عَلَيْهَا، وَاسْتِعْمَالٍ لَهَا فِيمَا يَنْفَعُ، فَإِذَا اسْتَعْمَلُوهَا عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَحْدَثَ لَهُمْ مِنَ الابْتِهَاجِ بِهَا، وَالطَمَعِ فِي بَقَائِهَا وَبَرَكَتِهَا، وَرَجَاءِ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ، أُمُوراً عَظِيمَةً تَفُوقُ بِخَيْرَاتِهَا وَبَرَكَاتِهَا هَذِهِ المَسَرَّاتِ الَّتِي هَذِهِ ثَمَرَاتُهَا.

وَيَتَلَقَّوْنَ المَكَارِهَ وَالمَضَارَّ وَالهَمَّ وَالغَمَّ بِالمُقَاوَمَةِ لِمَا يُمْكِنُهُمْ مُقَاوَمَتُهُ، وَتَخْفِيف

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِين» (١/ ٤٣١).

مَا يُمْكِنُهُمْ تَخْفِيفهُ، وَالصَّبْر الجَمِيل لِمَا لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ بُدّ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ آثَارِ المَكَارِهِ مِنَ المُقَاوَمَاتِ النَّافِعَة، وَالتَّجَارِب وَالقُوَّة، وَمِنَ الصَّبْرِ وَاحْتِسَاب الأَجْر وَالثَّوَاب أُمُور عَظِيمَة تَضْمَحِلُّ مَعَهَا المَكَارِهُ، وَتَحُلُّ مَحَلَّهَا المَسَارُّ وَالآمَالُ الطَّيِّبَةُ، وَالطَمَعُ فِي فَضْلِ الله وَثَوَابِهِ....

لِهَذَا تَجِدُ اثْنَيْنِ تَطْرُقُهُمَا نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِ الخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ فَيَتَفَاوَتَانِ تَفَاوُتًا عَظِيمًا فِي تَلَقِّيهَا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمَا فِي الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ»[١].

وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهَدٌ مُعَايَش؛ فَاسْأَلْ أَخِي أَهْلَ الاسْتِقَامَةِ عَنْ أَسْعَدِ الأَوْقَات، وَأَفْضَلِ اللَّحَظَات، فَسَتَجِدُ إِجَابَتَهُمْ لَا تَخْرُجُ عَنْ مُنَاجَاتِهِمْ لِرَبِّهِمْ فِي الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ بِعَرَفَات يَوْمَ عَرَفَة أَوْ عِنْدَ الطَّوَافِ بِالكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ، أَوْ بِتَنْفِيسِهِمْ لِكُرْبَةٍ مِنَ الكُرُبَات عَنْ فَقِيرٍ أَوْ مِسْكِينٍ...

وَهَذَا الَّذِي كَانَ هَدْيُهُ ﷺ فَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ يَفْزَعُ لِلْعِبَادَة لِيَجِدَ الرَّاحَةَ وَالطُّمَأْنِينَة، **«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»**[٢].

وَكَانَ يَقُولُ لِبِلَالٍ رضي الله عنه: **«يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»**[٣].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه نُعِي إِلَيْهِ أَخُوهُ قُثَم، وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ الطَّرِيقِ، فَأَنَاخ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَطَالَ فِيهِمَا الجُلُوس، ثُمَّ قَامَ يَمْشِي إِلَى رَاحِلَتِهِ وَهُوَ

(١) «الوَسَائِلُ المُفِيدَة لِلْحَيَاةِ السَّعِيدَة» (ص٩).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (١٣٢١)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامع»(٤٧٠٣).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٩٨٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع»(٧٨٩٢).

يَقُولُ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة][(١)] .

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله: «أَوَامِرُ المَحْبُوبِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قُرَّةُ العُيُونِ وَسُرُورُ القُلُوبِ، وَنَعِيمُ الأَرْوَاحِ، وَلَذَّاتُ النُّفُوسِ، وَبِهَا كَمَالُ النَّعِيمِ، فَقُرَّةُ عَيْنِ المُحِبِّ فِي الصَّلَاةِ وَالحَجِّ، وَفَرَحُ قَلْبِهِ وَسُرُورُه وَنَعِيمُهُ فِي ذَلِك، وَفِي الصِّيَامِ وَالذِّكْرِ وَالتِّلَاوَةِ، وَأَمَّا الصَّدَقَةُ فَعَجَبٌ مِنَ العَجَبِ، وَأَمَّا الجِهَادُ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الله وَالصَّبْرِ عَلَى أَعْدَاءِ الله سُبْحَانَهُ فَاللَّذَّةُ بِذَلِكَ أَمْرٌ آخَرُ لَا يَنَالُهُ الوَصْفُ، وَلَا يُدْرِكُهُ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهُ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِهِ أَقْوَمُ كَانَ نَصِيبُهُ مِنَ الالْتِذَاذِ بِهِ أَعْظَمُ»[(٢)].

فَمِنْ رَحْمَة الله سُبْحَانَهُ أَنْ جَعَلَ لَنَا الآثَارَ الطَّيِّبَةَ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَالحَدِيثُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا دَلِيلٌ عَلَى ذَلِك:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ مِنْ غَاضِرَةِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ«**ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ، وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ**»[(٣)] .

(١) «جَامِعُ البَيَان » (١/ ١٤).

(٢)«طَرِيقُ الهِجْرَتَيْن » (ص١٠١).

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (١٥٨٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (١٠٤٦).

فَفِي هَذَا الحَدِيثِ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ تَكُونُ بِـ:

- تَوْحِيدِ الله تَعَالى وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ كَمَا بَيَّنَا قَرِيبًا.
- إِعْطَاءُ زَكَاةِ المَالِ؛ قَالَ ﷺ: «**وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ**»: أَيْ أَنَّهُ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، فَلَا يُخْرِجُهَا عَنْ كَرَاهِيَّةٍ وَعَدَمِ رِضا وَعَدَمِ ارْتِيَاحٍ؛ لِأَنَّ هَذَا حُكْمُ الله، وَهَذَا حَقٌّ أَوْجَبَهُ الله ﷻ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ شُكْراً لله ﷻ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَالزَّكَاةُ مِنْ أَسْبَابِ نَمَاءِ المَالِ وَأَسْبَابِ كَثْرَتِهِ.
- عَدَمُ اخْتِيَارِ المَعِيبَةِ؛ قَالَ ﷺ: «**وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ**»، وَالهَرِمَة هِيَ: الكَبِيرَةُ الَّتِي طَعَنَتْ فِي السِنِّ وَبَلَغَتْ سِنَّ الهَرَم، وَالدَّرِنَةُ هِيَ الَّتي فِيهَا الجَرَبُ، وَتُسَمَّى الجَرْبَاءُ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ**»: المَرَضُ نَقْصٌ فِيهَا، وَقَدْ يُؤَدِّي إِلَى هَلَاكِهَا، أَوْ يَكُونُ النَّقْصُ الَّذِي يَحْصُلُ لَهَا بِسَبَبِ المَرَضِ ..، «**الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ**» هِيَ أَرْذَلُ المَالِ وَرَدِيئُهُ(١).

فَمَنْ أَمَّلَ أَنْ يَذُوقَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ عِبَادَتَهُ لله وَحْدَهُ.. يُرِيدُ بِهَا وَجْهَه..، فَحَرَكَاتُهُ وَسَكَنَاتُهُ لله، كَمَا قَالَ الله تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

(١) مِنْ كَلَامِ العَلَّامَة عَبْد المُحْسِن بن حَمَد العَبَّاد البَدْر حَفِظَهُ الله فِي شَرْحِهِ «سُنَن أَبِي دَاوُد رحمه الله».

الخَصْلَةُ التَّاسِعَةُ: مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلَام دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا

أَصْعَبُ مَا يَكُونُ فِي أَيِّ امْتِحَانٍ مِنْ امْتِحَانَاتِ الدُّنْيَا أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَعْرِفُ الأَسْئِلَةَ الَّتِي سَتُوَجَّهُ لَهُ، وَلَكِنْ مِنْ رَحْمَة الله بِنَا أَنْ جَعَلَ لَنَا الأَسْئِلَةَ الَّتِي تُحَدِّدُ سَعَادَةَ العَبْدِ وَشَقَاوَتَهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ مَعْلُومَةً مَعْرُوفَةً قَبْلَ هَذَا الامْتِحَانِ.

فَإِذَا وُضِعَ العَبْدُ فِي قَبْرِهِ وُجِّهَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَسْئِلَةٍ، وَهَذِهِ الأَسْئِلَةُ أَجْوِبَتُهَا هِيَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ المُبَارَكَاتِ، فَمَنْ عَاشَ بِهَا، وَمَعَهَا، وَلَهَا، فَسَيَصِحُّ جَوَابُهُ يَوْمَ امْتِحَانِهِ بِإِذْنِ الله.

جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ.

فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الإِسْلامُ.

فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

قَالَ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

أَمَّا مَنْ عَاشَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا، وَمَا تَأَمَّلَهَا وَلَا تَدبَّرَهَا وَلَا عَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا فَأَنَّا لَهُ أَنْ يُجِيبَ؟!

وَإِنَّمَا يَكُونُ جَوَابُهُ: «هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي» نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

عَنِ الْعَبَّاسِ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً»(١).

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٤).

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «فالرِّضا بإِلَهِيته يتضَمَّنُ الرِّضا بمَحبَّتِهِ وحْدَهُ، وَخوْفِهِ وَرَجائِهِ، وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتبَتُّلِ إِلَيْهِ، وَانْجِذاب قِوَى الإِرَادَةِ وَالحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ..

وَالرِّضا بِرُبُوبيتِهِ: يَتَضَمَّنُ الرِّضا بتَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ وِالثِّقَةِ بِهِ، وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ...

وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّه رَسُولًا: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الانْقِيَادِ لَهُ، وَالتَّسْلِيمَ المُطْلَق إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَتَلَقَّى الهُدَى إِلَّا مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِهِ، وَلَا يُحَاكِمُ إِلَّا إِلَيْهِ...

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِينِه: فَإِذَا قَالَ أَوْ حَكَمَ أَوْ أَمَرَ أَوْ نَهَى: رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا وَلَمْ يُبْقِ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ، وَسَلَّم لَهُ تَسْلِيمًا وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِمُرَادَ نَفْسِهِ أَوْ هَوَاهَا أَوْ قَوْلَ مُقَلِّدِهِ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ..»[١].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِين» «(١/ ١٧٢)»، بِاخْتِصَار، وَانْظُرْ: «التَّوْضِيح وَالبَيَان لِشَجَرَةِ الإِيمَان» (ص ٣٩).

عِلاجُ فقْدِ حَلاوةِ الإيمَان

إنَّ القَلْبَ إِذَا مَرِضَ فَإِنَّهُ يَفْقِدُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ «وَمَرَضُ القُلُوبِ نَوْعَان: مَرَضُ شُبْهَةٍ وَشَكٍّ، وَمَرَضُ شَهْوَةٍ وَغَيٍّ، وَكِلَاهُمَا فِي القُرْآن.

قَال تَعَالَى فِي مَرَضِ الشُّبْهَةِ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البَقَرَة].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المُدَّثِّر].

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ دُعِيَ إِلَى تَحْكِيمِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَأَبَى وَأَعْرَضَ: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾ [النُّور]، فَهَذَا مَرَضُ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ.

وَأَمَّا مَرَضُ الشَّهَوَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢﴾ [الأَحْزَاب]، فَهَذَا مَرَضُ شَهْوَةِ الزِّنَا.. وَاللهُ أَعْلَم»[1].

وَ«القَلْبُ المَرِيضُ: قَلْبٌ لَهُ حَيَاةٌ وَبِهِ عِلَّةٌ، فَلَهُ مَادَّتَانِ تَمُدُّهُ، هَذِهِ مَرَّةً وَهَذِهِ أُخْرَى، وَهُوَ لِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا.

فَفِيهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى وَالإِيمَانِ بِهِ وَالإِخْلَاصِ لَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ: مَا هُوَ مَادَّةُ

---

(١) «زَادُ المَعَاد» (٤/ ٦).

حَيَاتِهِ.

وَفِيهِ مِنْ مَحَبَّةِ الشَّهَوَاتِ وَإِيثَارِهَا وَالحِرْصِ عَلَى تَحْصِيلِهَا وَالحَسَدِ وَالكِبْرِ وَالعُجْبِ وَحُبِّ العُلُوِّ وَالفَسَادِ فِي الأَرْضِ بِالرِّيَاسَةِ: مَا هُوَ مَادَّةُ هَلَاكِهِ وَعَطَبِهِ.

وَهُوَ مُمْتَحَنٌ بَيْنَ دَاعِيَيْنِ: دَاعٍ يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَدَاعٍ يَدْعُوهُ إِلَى العَاجِلَةِ، وَهُوَ إِنَّمَا يُجِيبُ أَقْرَبَهُمَا مِنْهُ بَابًا وَأَدْنَاهُمَا إِلَيْهِ جِوَارًا»[1].

فَإِذَا مَرِضَ القَلْبُ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ مُعَالَجَتُهُ، فَإِنَّ مَنْ ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ ثُمَّ فَقَدَ حَلَاوَتَهُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَجِدَّ وَيَجْتَهِدَ فِي تَصْحِيحِ أَخْطَائِهِ وَهَفَوَاتِهِ، وَرُجُوعِهِ إِلَى رَبِّهِ.

سُئِلَ العَلَّامَةُ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ بَاز رحمه الله:

«**السُّؤَال:**

عِنْدَمَا كُنْتُ فِي سِنِّ المُرَاهَقَةِ كُنْتُ مُرْهِقًا لِنَفْسِي بِالمَعَاصِي وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَتْرُكُ وَاجِبَاتِ الإِسْلَامِ كَالصَّلَاةِ، وَأَنَا الآنَ تَائِبٌ إِلَى اللهِ مِنْ جَمِيعِ المَعَاصِي بِشَكْلٍ عَامٍّ وَلَكِنِّي فَاقِدٌ لِحَلَاوَةِ الإِيمَانِ وَأَعِيشُ فِي حَيْرَةٍ وَقَلَقٍ، فَحِينَمَا أَتَشَهَّدُ أُحِسُّ أَنَّ الشَّهَادَةَ لَا تَصِلُ إِلَى قَلْبِي، وَأَنَا خَائِفٌ مِنْ أَنَّ اللهَ أَنْ يَخْتِمَ عَلَى قَلْبِي وَأَرْجُو إِرْشَادِي أَثَابَكُمْ اللهُ.

الجَوَابُ:

(١) «إِغَاثَةُ اللَّهْفَان» (١/ ٩).

نُوصِيكَ بِحَمْدِ اللهِ كَثِيرًا عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ التَّوْبَةِ.

وَأَكْثِرْ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَأَحْسِنْ ظَنَّكَ بِرَبِّكَ.

وَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ.

وَاصْحَبْ الأَخْيَارَ، وَابْتَعِدْ عَنْ الأَشْرَارِ.

وَأَبْشِرْ بِالخَيْرِ وَحُسْنِ العَاقِبَةِ، وَسَتَجِدُ إِنْ شَاءَ اللهُ بَعْدَ العَمَلِ بِمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ وَلَذَّةَ الشَّهَادَتَيْنِ وَثَمَرَةَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرَّعْد].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النُّور]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»[(١)]، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»[(٢)].

فَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَصَدَقَ فِي التَّوْبَةِ حَصَلَ لَهُ الفَلَاحُ وَالطُّمَأْنِينَةُ وَرَاحَةُ الضَّمِيرِ وَمُحِيَتْ عَنْهُ سَيِّئَاتُهُ، ثَبَّتَكَ اللهُ عَلَى الهُدَى، وَمَنَحَكَ الاسْتِقَامَةَ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُولٍ»[(٣)].

وَإِنَّ مِنْ أَخْطَائِنَا الجَلِيَّةِ فِي حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّةِ أَنْ تَرَى الوَاحِدَ مِنَّا يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِهِ،

(١) رَوَاهُ مُسْلِم (١٢١).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (٤٢٥٠).

(٣) «مَجْمُوعُ فَتَاوِيه» (٥/ ٥٧).

وَفِي المُقَابِلَ لَا يَسْعَى لِتَلْيِينِهِ؛ بَلْ وَصَلَ الحَالُ بِبَعْضِ إِخْوَانِنَا مِمَّنْ غَرِقَ فِي بِحَارِ الشَّهَوَاتِ إِذَا نُصِحَ قَالَ: الإِيمَانُ فِي القَلْبِ.

فَنقُولُ: نَعَمْ هُوَ فِي القَلْبِ وَلَكِنْ لَابُدَّ أَنْ يُتبِعَهُ العَمَل وَيَظْهَر نُورُهُ عَلَى الجَوَارِحِ، كَمَا قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ ﵀: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي، وَلا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ»[1].

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجب ﵀: «فَإِذَا ذَاقَ العَبْدُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ وَوَجدَ طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ ظَهَرَ ثَمرَةُ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ فَاسْتَحْلَى اللِّسَانُ ذِكْرَ الله وَمَا وَالَاه، وَسَرَعَتْ الجَوَارِحُ إِلَى طَاعَةِ الله؛ فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ حُبُّ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ كَمَا يَدْخُلُ حُبُّ المَاءِ البَارِدِ الشَّدِيدِ بَرْدُهُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ حَرُّهُ لِلْظَمْآنِ الشَّدِيدِ عَطَشُهُ، وَيَصِيرُ الخُرُوجُ مِنَ الإِيمَانِ أَكْرَهَ إِلَى القُلُوبِ مِنَ الإِلْقَاءِ فِي النَّارِ وَأَمَرَّ عَلَيْهَا مِنَ الصَبرِ»[2].

وَخُذْ نَصِيحَةً ذَهَبِيَّةً مِنْ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيمِيَّة ﵀:

«إِذَا اجْتَهَدَ وَاسْتَعَانَ بِاللهِ تَعَالَى وَلَازَمَ الِاسْتِغْفَارَ وَالِاجْتِهَادَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالٍ، وَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرُهُ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ حَلاوَةُ الْإِيمَانِ وَنُورُ الْهِدَايَةِ فَلْيُكْثِرْ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ وَلْيُلَازِمْ الِاجْتِهَادَ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وَعَلَيْهِ

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَة فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٠٩٨٨)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَب الإِيمَان» (٦٥).

(٢) «لَطَائِفُ المَعَارِف» (ص٢٥٢).

بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ؛ وَلُزُومِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مُسْتَعِينًا بِاللهِ ؛ مُتبَرِّئًا مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ»[١].

وَقَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاض رحمه الله: «حَرَامٌ عَلَى قُلُوبِكُم أَنْ تُصِيبُوا حَلَاوَةَ الإِيمَان حَتَّى تَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا»[٢].

* * * * *

(١) « مَجْمُوعُ الفَتَاوَى » (١١/ ٣٩٠).

(٢) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٨/ ٩٤)، وَ«سِيَر أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (٨/ ٤٣٥).

خَاتِمَةٌ:

وَبَعْدَ هَذِهِ السُّطُور يتَّضِحُ جَلِيًّا أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً؛ هَنِيئًا لِمَنْ ذَاقَهَا وَوَجَدَ طَعْمَهَا وَأَثَرَهَا فِي حَيَاتِهِ قَبْلَ مَمَاتِهِ، وَرَضِيَ الله عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه لَمَّا قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِهِ لَوْ أَنَّ دُبَّ الغَابَةِ طَعِمِ الإِيمَان لَرُئِيَ عَلَيْهِ حَلَاوَةَ الإِيمَان»[1].

أَيْ عَبْدَ الله أَيْقِن أَنَّ الفَضْلَ فِي إِيمَانِكَ لله وَحْدَهُ القَائِل: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحُجُرَات].

تَشَبَّهْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ - جعَلَنَا الله وَإِيَّاكَ مِنْهُمْ - لَمَّا قَالُوا: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣﴾ [الأَعْرَاف].

«فَجمَعَ فِي هَذِهِ الآيَة بَيْنَ الإِخْبَارِ بِاعْتِرَافِهِمْ وَثَنَائِهِمْ عَلَى الله بِنِعَمِهِ وَفَضْلِهِ، حَيْثُ وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ المَنَازِلِ العَالِيَةِ، وَبَيَّنَ ذِكْرَ السَّبَبِ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بِمَنِّهِ الله عَلَيْهِمْ، وَهُوَ العَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي هُوَ الإِيمَانُ وَأَعْمَالُهُ.

فَنَسْأَلُ الله تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَأَنْ لَا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَب لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّاب.

وَصَلَّ الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا»[2].

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ المُبَارَك فِي «الزُّهْد» (١٥٤٧).

(٢) «التَّوْضِيحُ وَالبَيَان لِشَجَرَةِ الإِيمَان» (ص ٩٠).

تمت بحمد الله

فِهرِس

تم الصف والإخراج الفني
بمكتب لوصيف للتصميم والإشهار
الزقم - ح.ع.ك - وادي سوف - الجزائر
00213 (0) 559 33 27 13
hajizgoum@yahoo.com
لوصيف
لوصيف للتصميم و الإشهار
LOUCYEF \ Design & Pub
عازمون على الإبداع

صدر للمؤلف

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ

جَمَعَهُ وَأَعَدَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ

أبو عبد العزيز منير الجزائري



ISBN 978-9931-616-29-0